الذنوب حين تُمرض القلب.. طريق التوبة قبل القسوة والغفلة

الجمعة 1 مايو 2026 08:00 م

يقدّم الدكتور **حسين شحاتة** في هذا المقال قراءة إيمانية عميقة لأثر الذنوب والمعاصي على قلب الإنسان، مؤكدًا أن الذنب لا يظل فعلًا عابرًا، بل يترك بصماته الخطيرة في الداخل، حيث تتسلل القسوة والخشونة والوحشة والظلمة والوهن والغفلة إلى القلب، ثم تتراكم هذه الآثار شيئًا فشيئًا حتى تُضعف القلب أو تميته، إذا لم يبادر العبد إلى التوبة الصادقة والرجوع الجاد إلى الله.

ويستهل الكاتب طرحه بالتحذير القرآني من حالة القلب المغلق والغافل، مستشهدًا بقوله تعالى: **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**، وقوله سبحانه: **وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ**، في دلالة واضحة على أن ابتعاد القلب عن نور الوحي يفقده القدرة على الفهم والخشوع والإنابة.

الذنوب وأثرها التراكمي: من النكتة إلى الران

ينتقل المقال إلى بيان الأثر الداخلي للمعصية، مستندًا إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، حيث يوضح النبي ﷺ أن الذنب يترك "نكتة سوداء" في القلب، وهي ما يُعرف بالران، كما ورد في قوله تعالى: **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**. ويؤكد الكاتب أن هذا التراكم التدريجي هو ما يجعل القلب يفقد نقاءه مع مرور الوقت.

كما يحذر من الاستهانة بصغائر الذنوب، مبينًا أنها قد تكون أخطر من الكبائر إذا اجتمعت، مستشهدًا بحديث: **"إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه"**، ويضرب النبي ﷺ لذلك مثل القوم الذين جمعوا الحطب القليل حتى صار نارًا عظيمة، في تصوير بليغ لكيفية تراكم الذنوب الصغيرة حتى تصنع أثرًا كبيرًا.

ويعزز الكاتب هذا المعنى بما ذكره **ابن قيم الجوزية**، من أن الذنوب تضر القلب كما تضر السموم الأبدان، وأن كل داء في الدنيا والآخرة يرجع في أصله إلى المعصية، إذ قد تميت القلب أو تمرضه أو تضعف قوته.

أمراض القلوب تبدأ بالمعصية وتتفاقم بالغفلة

يؤكد المقال أن أمراض القلوب لا تظهر فجأة، بل تبدأ بالمعصية ثم تتضخم مع الغفلة، حتى يصل القلب إلى حالة من الوهن والإعياء، وقد يستسلم العبد لهذا المرض إذا لم يسارع إلى التوبة والعمل الصالح.

ويستشهد الكاتب بقوله تعالى: **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا**، وقوله: **فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ**، لبيان أن مرض القلب ينعكس على السلوك والاختيارات.

كما يشير إلى أن الغفلة إذا استحكمت، ضعُف إحساس الإنسان بخطورة ما يقع فيه، وابتعد عن التوبة والمحاسبة، حتى تصبح بينه وبين نور

الله غشاوة، مصداقًا لقوله تعالى: **فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الابْصَارُ وَلكِن تَعْمَى القلوبُ التِي فِي الصَّدُورِ** .

ويربط الكاتب ذلك بحـديث الوهن، الذي فسّـره النبي بحب الدنيا وكراهية الموت، مؤكدًا أن ضـعف القلب يقود إلى خوف الناس والتعلق بالدنيا.

موت القلب وآثاره على العبادة والدعاء

يوضـح المقال أن اسـتمرار الـذنوب يؤدي في نهايـة المطاف إلى موت القلب، وهو ما ينعكس على ضـعف الـدعاء وفقدان أثره، لأن الله لا يقبل دعاء قلب غافل.

وينقل عن **إبراهيم بن أدهم** تفسـيره لعـدم اسـتجابة الدعاء، حيث أرجع ذلك إلى موت القلوب بسـبب ثمانية أسـباب، منها: معرفة الحق دون العمل به، وقراءة القرآن دون تطبيقه، وادعاء محبة النبي دون اتباع سنته، والانشغال بعيوب الآخرين وترك عيوب النفس.

كما يورد الكاتب آثار الذنوب في حرمان العبد من الطاعات، مثل قيام الليل، مستشـهدًا بأقوال الصـحابة والتابعين، ومنهم **الحسن البصري** الذي قال: "ذنوبك قيدتك"، و**سفيان الثوري** الذي حُرم قيام الليل بسبب ذنب واحد.

قسوة القلب وظلمته... أخطر النتائج

يتناول المقال أثر الذنوب في توريث قسوة القلب، مستشهدًا بقوله تعالى: **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ** ، محذرًا من طول الأمد الذي يؤدي إلى الغفلة وفقدان الخشوع.

ويشير إلى قول **الإمام الغزالي** بأن الذنوب تمنع الطاعة، كما أن الطاعة تمنع المعصية، في علاقة عكسية واضحة بينهما.

كما يوضـح أن الذنوب تترك ظلمة في القلب، وتغلفه بطبقة تحجبه عن النور، مستشـهدًا بعدة آيات تتحدث عن الطبع على القلوب، مبينًا أن هذا الطبع عقوبة لمن يصر على المعصية.

ويختم هذا المحور بقول **ابن عباس رضي الله عنهما** عن أثر الحسنات والسيئات، حيث للحسنة نور وسعة وبركة، وللسيئة ظلمة ووهن ونقص وبغض.

التوبة... باب العلاج والنجاة

يفتح الكاتب باب الأمل بالحديث عن التوبة، مؤكدًا أنها العلاج الحقيقي لكل أمراض القلوب، وأن بابها مفتوح مهما عظمت الذنوب.

ويستشهد بقوله تعالى: **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا** ، موضـحًا أن الله يبدل السيئات حسنات، وهو وعد عظيم لكل من صدق في الرجوع.

كما يؤكد أن التوبة واجب دائم، مستشهدًا بقوله تعالى: **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا** وبحديث النبي الذي كان يكثر من التوبة رغم عصمته.

شروط التوبة النصوح

يعرض المقال شـروط التوبة كما ذكرها **ابن القيم**، وهي: النـدم، والإقلاع عن الـذنب، والعزم على عـدم العودة، ورد الحقوق، والإكثار من الأعمال الصالحة، محذرًا من التوبة الشكلية التي لا يصاحبها صدق.

كما يوضح أن التوبة النصوح تزيل الران وتعيد للقلب صفاءه، مستشهدًا بقوله تعالى: **تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا** .

إذا صلح القلب صلح الجسد كله

يختم الكاتب مقاله بالتأكيد على أن القلب هو محور الصلاح والفساد، مستشهدًا بحديث: "**ألا وإن في الجسد مضغة...**"، مبينًا أن توبة القلب تنعكس على الجوارح، حيث لكل عضو توبته الخاصة.

ويشير إلى أن التوبة الحقيقية لا تظل شعورًا داخليًا، بل تتحول إلى سلوك عملي، يتمثل في ترك المعصية، والإقبال على الطاعة، وحفظ الجوارح.

ويخلص المقال إلى أن طريق النجاة يبدأ من القلب، وأن التوبة الصادقة هي السبيل الوحيد لإعادة النور إليه، واستعادة صفائه وقوته، والعودة إلى طريق الاستقامة.

اخبار المحافظات

بالصور: إصابة 18 طالبة في حادث أتوبيس بطريق الصعيد الحر بالمنيا
الخميس 9 أبريل 2026 11:20 م

اخبار المحافظات

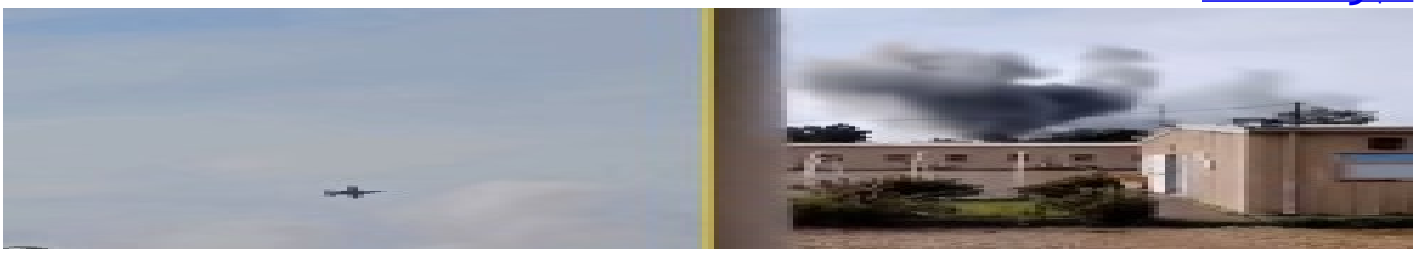

الدفاع العراقية: استشهاد 7 من مقاتلينا وإصابة 13 بالأنبار بغارات أمريكية
الأربعاء 25 مارس 2026 04:00 م

مقالات متعلقة

السحور ووقت الإمساك.. بين هدي النبي والبدع المحدثة

اغتنام أيام رمضان في الذكر والطاعة والجود

«10 مفاتيح» لاستقبال رمضان: منهج عملي للتزكية والانضباط الروحي

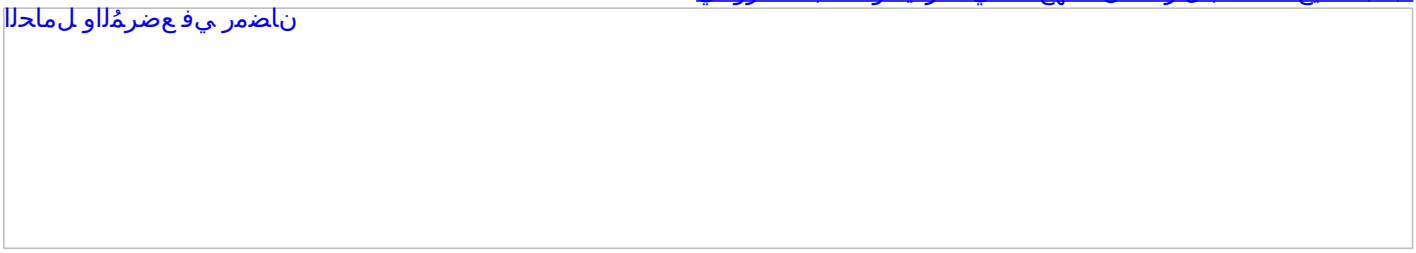

الحامل والمُرضع في رمضان

إشترك ادخل بريدك الإلكتروني

جميع الحقوق محفوظة لموقع نافذة مصر © 2026